

لِقَاءٍ مَعَ «طَلَبَةِ الْعِلْمِ» فِي الدَّمَامِ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ:

د. مُحَمَّدُ بْنُ هَادِي الْمَدْحَلِيِّ -حِفْظَهُ اللَّهُ-

(المُدْرِسُ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ سَابِقًا)

يَوْمَ الْخَمِيسِ ٩-١-١٤٤٥ هـ

فَرَّغَهُ، وَنَسَّقَهُ، وَاعْتَنَى بِهِ:

مُحَمَّدُ دِرْقَاوِي الْجَزَائِرِيُّ التَّيْهَرْتِيُّ

-غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَلِوَالِدَيْهِ، وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ-

فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ عَامِ خَمْسَةِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقاء مع طلبة العلم في الدمام<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله -:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ..

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقِيوم السماوات والأرضين، وصلى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله، وصفيّه وخليله، وخيرته من خلقه، نبينا محمّداً، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمّا بعد:

فإنّه لما يُسعد النفس، ويشرح الصدر، ويسرّ الفؤاد؛ أن يزور المرء إخوةً له في الله، وأبناءً كذلك، تحابوا في الله - تبارك وتعالى - وتآلفوا واجتمعوا على ذلك، فإنّ زيارة من كان بهذه الصّفة وهذه المثابة، والتواصل معهم؛ من القرب التي يتقرّب بها العبد إلى خالقه ومولاه - تبارك وتعالى -، وإنّي - كما قلت - سعيدٌ هذه الليلة لأنني أشعر وأحسُّ بأنّي قد وفيت بوعدِي لإخواني، وأحبائي في هذه المنطقة عاقمةً وفي الدمام خاصّة في مُقدّمهم إخواني الكرام، الشيخ رياض، والشيخ عبد القادر، ودعوات سابقة من بعض من هو حاضرٌ هذا المجلس فهذا ممّا يُشعّرنِي بالسعادة أن وفيت بموعدِي لهم، والحمد لله على ما يسّر لمن هذا اللقاء في هذا اليوم، يوم الخميس الموافق للتاسع من شهر الله المحرمّ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف في هذه المدينة، مدينة الدمام المعروفة عند السلفين والله الحمد، والدعوة السلفية فيها وقد كان من أوّل أمر الانطلاق في الدعوة السلفية في هذا العصر القريب ممّا يزيد على ثلاثين عامًا في هذه المدينة انطلاقةً قويًا، فجزى الله جميع الإخوة الذين قاموا وثمرتوا عن ساعد الجدّ في هذا الباب، جزاهم الله خير الجزاء، وإنّي الليلة لسعيدٌ - والله - برؤيتهم وبرؤية الإخوة من المنطقة عُمومًا، وهكذا إخوتي وأبنائي وأحبّتي من مملكة البحرين، وبالجميع؛ كلٌّ من حيث جاء، سعيدٌ بهذا اللقاء، ونسأل الله - جلّ وعلا - أن يجمعنا - وإياكم - في دار كرامته إخوانًا على سُرر متقابلين.

أيّها الإخوة في الله! حقيقة ما في البال، يعني كلمة مُبلورةٌ كما يقولون، ولكن أحسن ما يُلقيه الإنسان مع إخوته؛ التذكير والتواصي بالخير، وبالحق، والثبات عليه، والصبر عليه؛ فإن هذا من خير ما تُعمر به المجلس، وإنّ المجلس إذا لم تُعمر بذكر الله - جلّ وعلا -؛ كانت حسرةً وترةً على أهلها وعلى أصحابها، أعاذنا الله وإياكم من ذلك كلّ.

أقول - معاشِر الأحيّة -:

إنّ الدعوة السلفية هي الدعوة الصحيحة، وهي الدعوة الإسلامية الصادقة، الصالحة، لكل زمان ومكان وأمة، كيف لا وهي منسوبةٌ إلى السلف الصالح، فيقال فيها: "الدعوة السلفية". نسبةٌ إلى السلف الصالح رضي الله - تبارك وتعالى - عنهم

(١) كان هذا اللقاء في مدينة الدمام، يوم الخميس ٩-١-١٤٤٥هـ

جميعًا، رأسهم ومقدمهم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال -جلّ وعلا- في هذا - كما تعلمون جميعًا - :  
«وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»<sup>(١)</sup>. فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم سلفنا، وهم سلف  
كلّ سلفي، من يومهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال -جلّا وعلا- في شأن الفيء: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ  
أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ  
نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي  
قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ»<sup>(٢)</sup>. فالشاهد هؤلاء الذين جاءوا من بعدهم، ويدعون لهم؛ هم الذين قال  
الله فيهم في الآية السابقة في سورة التوبة والذين اتبعوهم بإحسان، وهؤلاء السابقون الأولون الذين نصّ الله عليهم - في  
سورة التوبة - هم؛ السابقون الأولون المذكورون في سورة الحشر من المهاجرين والأنصار، فرضي الله - تبارك وتعالى - عنهم  
- جميعًا - وأرضاهم، وسلك بنا وبكم - جميعًا - سبيل الاقتداء بهم، واتباعهم بإحسان.

أقول: إن الاتباع هؤلاء السلف الصالح، هو السلفي، وهؤلاء السلف الصالح قد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - -  
في بيان حالهم، واستقامة أمرهم - في الحديث المشهور؛ حديث العرياض بن سارية حينما قال - عليه الصلاة والسلام - :  
«إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَيَسِرْ بِسِرِّي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَيَّبِينَ الرَّاشِدِينَ الْمُهَيَّبِينَ، تَمَسَّكُوا وَعَضُّوا عَلَيْهَا  
بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ..» الحديث<sup>(٣)</sup>. فسنة رسول الله ﷺ هي السبيل الوحيد للنجاة في  
حال الاختلاف، وفي حال الاضطراب، وفي حال موج الفتن، نسأل الله العافية والسلامة، فإن النبي ﷺ قد قال: «النجوم  
أمنة للسماء، فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما تُوعَد، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يُوعَدون،  
وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما تُوعَد.»<sup>(٤)</sup> فالشاهد قوله - عليه الصلاة والسلام - إن أصحابه أمنة  
للأمة من بعدهم، الذي يقتدي بهم - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - يسلم، كما سلموا حينما حدثت الفتن، واعتصموا بما  
وصّاهم به رسول الله ﷺ ففارقوا هذه الدنيا - وهم - على خير حال، هكذا من سلك سبيلهم، نجّاه الله - جلّ وعلا -  
وحفظه، وسلك به طريق الهداية والرّشاد والسلامة، «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ

(١) [سورة التوبة: ١٠٠]

(٢) [سورة الحشر: ٨]

(٣) صحيح؛ أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) واللفظ له، وأحمد (١٧١٨٥)

(٤) صحيح الجامع (٦٨٠٠)

سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.»<sup>(١)</sup> وهو نفسه قال فيه -جلًا وعلا-: «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.» فالذي أمرنا بأن نتبعه، نحن نقرأه في صلواتنا دائمًا وأبدًا، ونسأل الله -جلّ وعلا- أن يهدينا عليه، ويتبتنا عليه في جميع أحوالنا، فهذا هو الصراط، هنا والصراط هناك، فمن ابتغى السلامة في غير سلوك هذا الصراط؛ فإنه يُحاول عبثًا، ويريد معدومًا، فلا يُمكن أن تنجو -أيها المسلم- إلا بسلوكك هذا الصراط المستقيم، وصراط الله -جلّ وعلا- وسط، بين الغالي والجاني، كما قال فيه جلّ وعلا-: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ.»<sup>(٢)</sup> المغضوب عليهم هم اليهود؛ عرفوا الهدى وتركوه، وجانبوه، ولم يلتزموا به، «يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ»<sup>(٣)</sup>. قال -جلّ وعلا- يعرفون هذا النبي ﷺ ويعرفون صدقه، ولكنهم كذبوا هذا، «يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ.»<sup>(٤)</sup> فالشاهد؛ من ترك هذا الصراط؛ ضلّ؛ إما أن يتركه بعد العلم، فيكون فيه شبهة من اليهود، تركوا الحق وهم يعرفون، وإما أن يتركه بسبب الجهل؛ فلم يتعلم، ولم يطلب حتى يعرف الحق والهدى، ويتعبد الله على ضلال؛ فهذا شبهة بالتصاري، نسأل الله العافية والسلامة، و«الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا.»<sup>(٥)</sup> هؤلاء هم أصحاب الصراط المستقيم، هؤلاء هم أصحاب الصراط المستقيم، الذي من رضي نفسه التخلّف عنهم؛ فقد أوبقها، ومن جاهدتها للاستقامة عليه؛ فقد لحق بهم وأسعدها، فنسأل الله -جلّ وعلا- أن يُعيننا -وإياكم- على أنفسنا.

وبهذه المناسبة؛ مادام الأمر قد افتتح الحديث فيه على هذا النحو؛ فإنني أقول: يا معاشر الأجيّة! أتمم -الآن- ترون ما على الساحة ممّا تموج به من أنواع الاختلافات، وحقيقةً قبل؛ كانت الاختلافات معروفةً بين السلفيين وأهل الأهواء بصنوفهم، الآن بدأ يطفو على الساحة الاختلاف بين السلفيين، وهذه مُصيبةٌ عظيمةٌ! وكارثةٌ جسيمةٌ! والأدهى والأمر؛ ممّا يحزن له الإنسان المتابع للساحة أن يرى أشياء من بعض إخوانه السلفيين، وأبناء الدعوة السلفية؛ يُنكر أن تحصل من سلفي، لماذا؟ لأنّها مُصادمةٌ للمُسلّمات عند أهل السنّة والجماعة، أهل السنّة والأثر، السلفيين؛ متقرّر هذا الأمر عندهم، فأصبح -الآن- كأهم لم يعلموا شيئًا في هذا الباب، بعض إخواننا، وبعض أبنائنا السلفيين في هذا الوقت؛ ترى ما كأنه عرف هذه المُسلّمات؛ فأصبح يدوك في هذه الاختلافات، والانقسامات، والمطاحنات، وللأسف.

فمن أشهر ما نرى على الساحة؛ الغلوّ في بعض الأشياخ، أو بعض المشايخ، غلوًا -في الحقيقة- إذا نظرت إلى السلفيين

(١) [سورة الأنعام: ١٥٣]

(٢) [سورة الفاتحة: ٧]

(٣) [سورة الأنفال: ٦]

(٤) [سورة البقرة: ١٤٦-١٤٧]

(٥) [سورة النساء: ٦٣]

الذين هم في أسناننا؛ ليس موجودًا فيهم هذا، ولكن نشأ من ناشئةٍ حداثئ الأسنان، سُفهاء الأحلام، ولا أستبعد -أيضًا- أنا أن يكون ثمّ مُندسٌ فيهم؛ أوقد نيران هذه الفتن، لِيُفَرِّقَ السلفيين، ويضعف كلمتهم، ويوهن صفهم، ويشتت شملهم، وليس ذلك بعيد؛ فإنّ أهل الباطل منذ القدم، من عهد النبي ﷺ وأهل التّفاق يندسّون في صفّ الإسلام، والتّفاق لا يأتي إلا حينما يقوى الإسلام؛ فيندس أهل التّفاق -إذا قُمِعوا- في صفوفِ السلفيين، كما اندس المنافقون في صفوف أهل الإسلام حينما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، كما ذكر ذلك أهل العلم، فإن المجتمع المكّي لم يكن فيه نفاق؛ لأنّ المسلمين مُستضعفين، فلما قوّي أهل الإسلام في المدينة، وخاف الأعداء منهم؛ اندسّ النفاق، والمنافقون فيهم ليفرقوهم، ولكنّ الله - جلّ وعلا- قد فضحهم، وأنزل فيهم القرآن يُتلى إلى يوم القيامة؛ آياتٌ وسور، أو سورة؛ سورة المنافقون، فالشاهد؛ لم يزل أهل الشر -إذا قوّي أهل الحق- يبحثون عن الطرائق التي ينالون بها من أهل السنّة؛ ليفرقوهم ويضعفوهم حتى لا يقفوا صفاً واحداً وجداراً واحداً منيعاً في وجوههم، فنرى -في هذه الآونة- الآن في السّاحة؛ غلواً عجيباً غريباً، فمثلاً مامنٌ مُسلم -فضلاً عن السلفيين-؛ (المسلمين الذين يعرفون العلم، وطلبوه) "مامناً إلا راداً ومردوداً عليه إلا صاحب هذا القبر"، وأشار إلى من؟ إلى قبر رسول الله ﷺ، من صاحب هذه المقالة؟ الإمام مالك رضي الله -تبارك وتعالى- عنه، مامناً إلا راداً ومردوداً عليه، فالآن ترون على السّاحة الذين يتابعون، أو بعض الذين يتابعون، ولا أظنّ الناس -الآن- إلا يتابعون مع هذه الوسائل؛ الويل لك إذا قلت أخطأ الشيخ فلان! والرّد قال الله، قال رسول الله ﷺ، قال الصّحابة، قال أئمة الهدى، على طول يقول عنك إيش؟ انقلبت! وتغيّرت! وبدأت تطعن في المشايخ! الله أكبر! الذي يردّ الخطأ؛ قلب، وأصبح طعان في المشايخ أو في العلماء - كما يقولون-! من أنت أصلاً؟! إذا بحثت؛ وجدت هؤلاء غلمان أعمارهم لم تتجاوز أسنان بعضكم الحاضرين الآن في الدّعوة إلى الله على المنهج السلفي، فأصبح -هو- يحكم على المشايخ ويُقوّمهم! وهذه مُصيبية عظيمة! وطامة جسيمة! الرّد للباطل، وحمية دين الله -جلّ وعلا-، وتنقية شرعه، ومنهاجه من أن يُلصق فيه ما ليس فيه أو ما ليس منه؛ أصبح طعاناً! نعم، لماذا؟ لا يستطيعوا أن يقولوا غير هذه العبارة، هذه العبارة ظاهرها حق، ولكنّ باطنها باطل، أراد -بها- ألا يُقال أحد من الناس يُخطئ! أو من المشايخ يُخطئ! هذا كلام باطل، ما في أحد معصوم من بعد النبي ﷺ، اللّيث ابن سعد؛ إمام أهل مصر، قال: «هذا ما خالف فيه مالكٌ حديث رسول الله ﷺ» وهما صاحبان، بينهما من المحبّة، والمودّة، والصّلّة؛ الشيء العجيب، اقرأوا في سيرتَيْهِما، «هذا ما خالف مالكٌ فيه حديث رسول الله ﷺ» بالله! اللّيث يطعن في مالك؟ أسألكم -بالله-! وهما صاحبان، ما يُمكن، لكن هذه طريقة أهل العلم؛ أراد بها التنفير من الخطأ، أو اتّباع مالك على ما أخطأ فيه، ونحن نظن في اللّيث هذا، ومالكٌ يعلم أنّه ما مِنّا إلا راداً ومردوداً عليه، آه، انجرت هذه العبارة إلى مُشكلةٍ أخرى، يعني هذه العبارة "أنت تطعن في المشايخ" تمام؟ انجرت ورفعت وارتفعت درجة؛ الدرجة الثانية التي تليها؛ العالم معصوم أو الشيخ معصوم! وإن لم يقولوه بألسنتهم هؤلاء، لكن أفعالهم؛ دالة عليه،

ما في أحد معصوم بعد النبي ﷺ، قالوا: فلان لا يخطئ! هكذا! وقالوا: فلان لم يجد الزمان بمثله! وبعضهم قال: لا أظن أنه يأتي بمثله! هذا كله موجود في الساحة، أنا لا أتكلّم معكم من فراغ مادام قد جرنا الحديث إليه، فهذه مُصيبة عظيمة! وليست التربية السلفية أبداً، الذي تربيّننا عليه، وربّانا -عليه- وأشياخنا، وأشياخنا ربّاهم -عليهم- شيوخهم؛ أنه ما منّا إلا رادّ ومردود عليه، وكلّ يؤخذ من قوله ويترك؛ إلا رسول الله ﷺ، فأصبح تعصّب، انتقل بعد ذلك؛ إلى شبيه الرّفص! نسأل الله السّلامة والعافية، عُلاة المقلّدة؛ هكذا يقولون، كنا قبل نقرأ هذا في الكتب عن عُلاة المقلّدة، عُلاة المقلّدة يوجد عندهم هذا، حتّى إن بعضهم قال: "كلّ حديث خالف مذهب إمامنا، فهو إمّا منسوخ وإمّا مؤوّل!"<sup>(١)</sup> أسألكم -بالله-: هل هذا قول عاقل؟! موجود في الكتب هذا، في متعصّبة المقلّدة، وعُلاة المقلّدة السابقين، كلّ حديث خالف مذهب إمامنا؛ فهو إمّا منسوخ، وإمّا مؤوّل، فأصبح -إيش؟- شيخه -أو إمامه- هو الذي يستحقّ أن يُقال ﷺ، والنبي ﷺ هو المتأخّر، فأصبح النبي -عليه الصّلاة والسلام- وحديثه؛ هو المخالف للإمام وللشيخ، وهذه كارثة عظيمة!

وقال الآخر<sup>(٢)</sup> -من مجانين غلاة التعصّب والتقليد- لما ذكر إمامه:

فما في المغربين له نظيرٌ ●●● ولا في المشرقين ولا بكوفة

فلعنة ربّنا تعداد رملٍ ●●● على من ردّ قول أبي حنيفة

هذا موجودٌ في الكتب مزبور، وذكره أئمة الدعوة السلفية، وعلماء الدّعوة السلفية في كلّ الأزمان، ذكروه؛ ليُحدّروا منه، ومن هنا؛ انطلق شيخ الإسلام في الأعصار المتأخّرة، الإمام المجدّد محمد ابن عبد الوهّاب -رحمه الله- إلى كتاب التوحيد وجعل فيه باباً يُحارب -فيه- هذا الغلو؛ باب من أطاع العلماء في تحريم ما أحلّ الله، أو تحليل ما حرّم الله؛ فقد اتّخذهم أرباباً من دون الله -سُبْحانه وتعالى-، إيش - هذا الكلام؟! «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ»<sup>(٣)</sup> إلى آخر الآيات، فإذا كان هذا قد نعاه الله عن قومٍ قبلنا، الآن نحن نأتي نقع فيه!! هذه مُصيبة عظيمة! ما يقبلها مُسلم فضلاً عن السّلفيين الذين هم سادة هذا الباب؛ أعني: باب الدّعوة إلى الاتّباع، ومُحاربة الغلو والتعصّب والابتداع، فضلاً عنهم، فهُم سادات هذا الميدان، رجم الله موتاهم وألقنا بهم غير مبدلين ولا معيّرين، ووفق الله أحياءهم، هذه المصيبة؛ مُصيبة عظيمة جداً! مُصيبة عظيمة جداً!

ارتقت عليها -أي: المصيبة الثانية-؛ المصيبة الثالثة وهي ما أشرت إليها في الأبيات الآن، وهي: تحريف ولي أعناق الأحاديث كلها في المسألة التي يُخالف فيها هذا العالم أو هذا الشيخ لتصبح موافقةً له، وإن لم توافقه في الحقيقة، ويتأوّلون

(١) رد المحتار (ص ١٧)

(٢) الحصكفيّ في الدر المختار (١/١٤٧)

(٣) [سورة التوبة: ٣١]

في هذا الباب؛ تأوّلًا عجيبًا، والله ما هم بسلفيين! والله ما هم سلفيين! والله ما هم سلفيين (بنبرة غضب)! ولا تربّوا على السلفية الحقيقية وإن قالوا فيّ ما قالوه، فالسلفية الحقيقية؛ هي هذه التي ذكرتها لكم، والتي بينها أهل العلم، وأكثرها الكتابة -فيها- والتأليف فيها، وفي الأعصار -هذه- المعاصرة الحديثة فيها و... فيها، فيأتي إلى هذا، وتذكر له الحديث عن رسول الله ﷺ؛ الذي خالف فيه هذا الشيخ، وأخطأ؛ ما يُمكن أن يتبدّل ولا يتعدّل ولا يتغيّر؛ أنت الذي تطعن في العلماء والشيخ ما يخطئ! تعرض له أقوال أئمة السلف في هذا، الشيخ ما يخطئ! أبدأ! فأصبح السلفي في سنّنا وقريب منّا؛ يستنكر هذا، ممكن هذا يحصل في السلفيين؟! هذا ما يُمكن! والله ما حصل هذا إلا باندساس عدوهم فيهم؛ فنال منهم؛ ليفرقهم، ويجزّهم فيما بينهم، ويذهب هيبتهم، ووحدتهم، ويضعف كلمتهم، السلفي ما يقول هذا -يا أجيّة-، المؤمن إذا دُعي إلى الله ورسوله؛ يقبل، «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»<sup>(١)</sup> تسمع الآن العجب! خلاف هذه الآيات، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»<sup>(٢)</sup> الآية. أولوا الأمر ذكروا هم العلماء -ومن؟- والأمرء، العلماء؛ علماء البيان، وؤلاة البيان وهم العلماء، وؤلاة السنان وهم الأمرء، فهؤلاء جرّد الله -جلّ وعلا- طاعتهم من إعادة الفعل معها، قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ -طاعة الرسول استقلالًا، طاعته طاعة لله -سبحانه وتعالى-، وأمّا من بعد؛ أولوا الأمر من أمرء وعلماء، قال:- وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» فلا يُعيد مع ذلك الفعل إشعار -كما قال أهل العلم- أنّ طاعتهم لا تحب استقلالًا؛ وإمّا هي واجبة تبعًا، فإن وافقوا أمر الله ورسوله؛ سمعًا وطاعة، وإن خالفوا؛ ردّ قولهم، فهذا الذي نصّ الله عليه في كتابه، ونصّ عليه رسوله ﷺ في سنّته، الآن تتلو النصوص التي هي مثل الشمس في كبد السماء؛ جليّة؛ ليس دونها شبهة؛ تقرأها صريحة بدلالة المنطوق، ماهو مفهوم المنطوق؛ يقولك: لا! يقصد كذا ويقصد كذا! الله أكبر! أجل هذه الأمة التي تقرأ كلّها، من هم؟ دواب ما يفهمون! هذا عجب! هذا عجب! -والله- عجب! هذه هي القضية -كم؟- الثالثة، ترتّب عليها -بعد ذلك- مُصيبةٌ أخرى؛ وهي: أنّك تجد هذا المبرر لنفسه، يذهب فيستنصر ببعض أقوال أهل البدع، ويقول: فلان قال، وفلان قال. وهو يعرف أنّ هذا الكلام كلام باطل، وقائله ليس من أهل السنّة، فمثلاً أذكر -لكم- مثلاً، واحداً فقط؛ والحر تكفيه الإشارة، وأنتم -والله الحمد- أعلى من ذلك كله بصريح العبارة. وجدنا ممن ينتسب إلى هذا المنهج يتكلّم على المظاهرات، ويحتجّ لها بأنّها مسألة خلاقيّة، قد احتجّ بها وقال بجوازها القرضاي، وقال بجوازها فلان، فلان، فلان، وعدّد رؤوس الإخوان المسلمين البنائين والسروريين، من من؟ من نحن -وإياهم- نتجادل في هذه المسألة من خمسٍ وثلاثين (٣٥) سنة، أو أربعة وثلاثين (٣٤) سنة، من أزمة الكويت إلى اليوم؛ أربعة وثلاثين (٣٤) سنة،

(١) سورة الأحزاب: ٣٦

(٢) سورة النساء: ٥٩

أليس كذلك؟ الكويت يوم الخميس، إحدى عشر (١١) محرم ألف وأربعمائة وإحدى عشر (١٤١١)، ونحن الآن يوم الخميس - كم؟ - تسعة محرم عام ألف وأربعمائة وخمسة وأربعين (١٤٤٥)، فمن ذلك التاريخ ونحن - وأهل الباطل - البدع السياسية (السياسيين) في هذا الباب؛ نتجادل وفي آخره الآن يقولك عن نفسه سلفي، وشيخ من المشايخ السلفيين أو من مشايخ الدعوة السلفية، ويحتج بأن فلان قال كذا، وفلان قال كذا، وفلان قال كذا، يبرر بها - إيش؟ - أن المسألة خلافية، تدري لماذا؟ حتى لا يُنكر على شيخه الذي أخطأ في هذا الباب، فأصبح المقصود هو - إيش؟ - نصره الشيخ، لا نصره الحق، وهذه رزية حلت بالدعوة السلفية، ما قد حلت بها من قبل في هذا العصر الحديث، فيا إخوتي؛ الأحبة؛ الكرام؛ يجب علينا - جميعاً - أن نعلم أن الله - سبحانه وتعالى - إنما ثبتنا على الحق في هذه الآونة المتأخرة من بين سائر الخلق، إنما ثبتنا على ذلك؟ - بماذا؟ - باتباعنا لأحاديث النبي ﷺ وأقوال الصحابة - رضي الله عنهم -، والتابعين لهم بإحسان، والسلف الصالح - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - كأحمد ومن هو على شاكلته؛ رحمهم الله، ما أستطيع أحصر، لكن أضرب أحمد لأته إمام أهل السنة والجماعة.

فهذه المسائل يجب أن يُعلم أنّ من سار على النحو الذي ذكرت؛ ليس هو على طريقة الدعوة السلفية، أبداً بأي حالٍ من الأحوال، فما مِنَّا إلا رادٌّ ومردود عليه، والنصيحة لدين الله؛ أقدم من كلِّ أحد، وأقدس من كلِّ قائل، وليُعلم أنّ العلماء تُعرض أقوالهم على كلام الله وعلى كلام رسوله ﷺ؛ لا أنّ كلام الله وكلام رسوله ﷺ يُعرض على كلام أهل العلم، لا، ما هو صحيح، العلماء هم الذين يُعرض كلامهم على كلام الله وكلام رسوله ﷺ، فالعبرة - إنما هي - بالدلائل لا بعظمة القائل، هذا هو. والاتباع الصحيح - إنما هو - بالسيرة على طريق من كان قبلنا، - رحمهم الله تعالى ورضي عنهم -، فإذا جاء الأمر من الله ومن رسوله ﷺ؛ على الرأس والعين، وأما أهل العِلْمَة فيجتهدون.

أعجب من ذلك؛ شيءٌ واحد، أخبركم به، وأنتم تعرفونه، فقط كما قلت - لكم -: مُذْكَرَةٌ؛ تذكيراً.

الآن تجد واحد يتشدق يقلل: أخطأ مالك. ويردّ عليه، أنا من حيث المبدأ، من حيث المبدأ؛ هذا مبدأ صحيح؛ العلماء ما هم معصومون، الخطأ مردود كما قال مالك - رضي الله عنه -، مالك قال: ما مِنَّا إلا رادٌّ ومردود عليه. جاءت السنن من سؤال قال: ما رأيت أحداً في المدينة يصومها. تمام؟ وما قال بصيامها، وكره ذلك، النووي له عبارة لطيفة، قال: مالك هو القائل ما مِنَّا إلا رادٌّ ومردودٌ عليه، ونحن نطبّق ما قاله عليه. وانتبهنا، ما في شيء، لم؟ لأنّ القاعدة واحدة؛ لا تتغير، فالآن؛ الذي أقول تجده، هذا الذي يتكلم بمثل هذا الكلام الذي أشرت إليه - أنبأ - وأنا ما أقصد شخصاً بعينه، في أعداد ظهرت على الساحة في هذه الآونة المتأخرة على الساحة السلفية، ظهرت تقول بمثل هذا، أقول إنك إذا نظرت عند هذا القائل الذي يقول بمثل هذا الكلام الذي سمعناه قبل قليل؛ تجد «ما مِنَّا إلا رادٌّ ومردود عليه»، طيب، لكن الآن الآن؛ هذا الشيخ الفلاني، هذا الداعية الفلانية، هذا الشخص الفلاني، أخطأ، طيب، هل الاحتكام فيه إلى النص من

القرآن ومن السنة وما قاله الصحابة أم الاحتكام فيه إلى غير ذلك؟! فإن قال: الاحتكام إلى النص؛ القرآن، السنة، أقوال الصحابة -رضي الله تبارك وتعالى عنهم وأرضاهم-. قلنا هذا طيب، قد أنصفت من نفسك، قال الله كذا، وقال الرسول ﷺ كذا، وقال الصحابة في هذه المسألة كذا. تمام؟ تجده -بعد ذلك- لا يسلم، يذهب إلى مُصيبة ثانية؛ يقول: الشيخ فلان قال كذا، الشيخ فلان قال كذا، ليش ما ردّيت عليه؟ تمام؟ والشيخ فلان قال كذا، ليش ما ردّيت عليه؟ هل أنا قلت لك إنّ قول الشيخ فلان -هذا اللي تقوله- صح حتى تلزمني هذا الإلزام؟! هل قلت لك إنّ قول الشيخ الفلاني الثاني الذي أخطأ فيه صح حتى تلزمني -أيضاً- بهذا الإلزام؟! فخرجنا إلى صورة أخرى مُشوّهة تمامًا وهي عكس ما قاله سلفنا الصالح، ماذا قالوه في هذه الصورة؟ قالوا الحجة إنما هي في الخير ما هو في الخطأ، في الخطأ والشر، يعني أنت تحتج، تحتج بالإنسان اللّي ع الخير، على الصواب، ما هو بتحتج بيه في خطئه، العلماء لا يُحتج بهم في أخطائهم، يُحتج بهم في الصواب، وفي الكلام الطيب الجميل الموافق للكتاب والسنة، علماء الإسلام، وما أخطأوا فيه -وهم من أهل العلم حقًا- قد بيّنه علماء الإسلام وهم لا يخلون ما بين أجر أو أجرين، إن أصاب فأجران، وإن أخطأ فأجر ومغفوء عنه -إيش؟- خطؤه، له أجر الاجتهاد، لكن أنت -الآن- مالك من الأجر ولا شيء، بل يخف عليك الوزن؛ لأنك تبين لك، وبُين لك النصوص، ودُكرت لك الأحاديث عن رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة -رضي الله عنهم-، ولا تزال أنت تحتج بالخطأ لتبرّر ما أنت عليه من الخطأ، معناه أنت معاند في هذا الجانب، والمقصّد ما هو نصره الحق، المقصد الانتصار للذي أنت الآن عليه من الباطل، أو عليه من تُعظّم، أو عليه من تدافع عنه، وهذا ليس من أخلاق أهل الإيمان أبدًا، «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا»، فالواجب علينا -معشر الأجيّة- أن نعود ونراجع أحوال هذه الخِلافات التي طفت على الساحة السلفية الآن، وأضعفت السلفيين الآن، وقطعتهم ومزقتهم الآن، فكما قلت لكم: والله ما قال هذه الأقوال من كُنّا نعرفهم في سابقتنا وأيامنا الأولى مع الأشياخ. وإمّا نبتت هذه النابتة وتظاهرت بحب الشيخ فلان، والشيخ فلان، أو الشيخ فلان، والشيخ فلان؛ ليزرعوا الفتن في بلدان المسلمين بين السلفيين إلى أن وصلوا إلى الذي يريدون، ومزقوا السلفيين، وأصبحت المرافقات بينهم في وسائل التواصل على السّاحات، كلٌّ يراها ويسمعها، فيا شماتة أهل الباطل بأهل الإسلام، وإمّا يهدم الإسلام عروة عروة -من؟ أجيبوني يا أحبّتي- من نشأ في الإسلام ولم يدرك الجاهليّة، فالذين جاءوا -الآن- وما عرفوا السّابقة السلفية في هذا العصر المتأخّر الذي نحن فيه الآن، وبالتحديد فقط؛ حتى أخضر وأقرب؛ من حرب الكويت إلى يومنا هذا؛ أربعة وثلاثين (٣٤) سنة، والآن الخامسة والثلاثين (٣٥)؛ هؤلاء -هم- واحد من ثلاثة؛ إمّا واحد عرفها وهو من أعدائها، فلا يُستبعد أن يندس ليكيّد لينال من السلفيين لأنّه مبتور منهم منذ القدم وقد حانت له الفرصة الآن. وإمّا ثانٍ جاء وعرف هذه الأمور

السابقة ولكن الله -جلّ وعلا- أزاغهُ، فلا عبرة. وإنا ثالث مُندس، لم تعلمه، أنت ولم أعلمه أنا، والله أعلم به؛ يَكِيدُ لهذه الدعوة من الدّاخل ويتظاهر بالسلفية ليزرع الفتن بين السلفيين؛ حتى يفرّقهم، عافانا الله وإياكم من ذلك.

فلننتبه - يا أحبّة- لهذا الشيء، ولنعلم أنّ ما لم بكن بالأمس دينًا، لا يكون اليوم دينًا، والاتباع هو الاتباع؛ واحد، وعلماء الإسلام إنّما يحتج لهم ولا يُحتجّ بهم، إنّما الحجّة في كلام الله وكلام رسوله، وما مِنّا إلّا رادٌّ ومردود عليه، فتجد كما قلت لكم قبل قليل، مالك أخطأ، الشافعي أخطأ، أبو حنيفة أخطأ، أحمد أخطأ، لكن من يتظاهر بتعظيمه للشيخ فلان، ما في، يأتينا بعد ذلك، الأمر الخامس؛ وهذا الذي يفصح لك إذا كنت أنت متابع ما هو على السّاحة، رأينا بعض من يُتعصّب لهم رجع معه من بالأمس كان هو يحدّر منه، سروري، حدّادي، إخواني، قولوا ما شئتم، أصبحوا حوله، فحالوا بينه وبين إخوته، وكذبوا عليه وعلى إخوته؛ ليؤغروا صدور إخوانهم عليه، أو يؤغروا صدره -هو- على إخوانه ونجحوا في هذا، وهذا شيءٌ مُشاهدٌ محسوس ما يُنكره من يتابع السّاحة السلفية، فالحذر الحذر -معاشر الأحبّة-! والواجب علينا -جميعًا- أن يكون الهدف هو نصره دين الله -جلّ وعلا-، لا فلان ولا فلان، والعبرة بالدلائل -كما قلت- لا بعظمة القائل، فكل أحد يُتصوّر منه الخطأ، وليس معناه إذا ردّ على من أخطأ فأنت انتقصته أو طعنت فيه، بل الواجب علينا أن نشكر من بيّن الحق والصّواب؛ إذ لولا من يُقيم الله لبيان الحق ويظهر منهاجه وشرعه؛ من الأقوال الغالطة التي لحقت به، أو نُسبت إليه؛ حلّت المصيبة ولأصبح العلماء في الناس مثل الأنبياء في أقوامهم، فنسأل الله -جلّ وعلا- أن يثبتنا -وإياكم جميعًا- على الحقّ والهدى، وأن يسلك بنا -وبكم جميعًا- سبيل مرضاته، وأن لا يجعل هذا الطّريق ملتبسًا علينا فنضلّ، كما نسأله -سبحانه وتعالى- أم يُثبتنا على ذلك حتى نلقاه، وأن يرده إليه ردًّا جميلًا ضالّ المسلمين، وصلى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله؛ نبينا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهى.